

المثل السائر

ومن السجع الطويل أيضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط .
واعلم أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور وفائدته في
الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصروع باب له
مصراعان متشاكلان .

وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام فأما إذا
كثر التصريع في القيدة فلست أراه مختارا إلا أن هذه الأصناف من التصريع والترصيع
والتجنيس وغيرها إنما يحسن منها في الكلام ما قل وجرى مجرى الغرة من الوجه أو كان
كالطراز من الثوب فأما إذا تواترت وكثرت فإنها لا تكون مرضية لما فيها من أمارات الكلفة
وهو عندي ينقسم إلى سبع مراتب وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه أحد غيري .
فالمرتبة الأولى وهي أعلى التصريع درجة أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم
معناه غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه ويسمى التصريع الكامل وذلك كقول امرئ القيس .
(أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّذَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْزَمَعْتُ
هَجْرًا فَأَجْمَلِي) .

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج إلى ما يليه .
وعليه ورد قول المتنبي .

(إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالذَّسِيبُ الْمُقَدِّمُ ... أَكُلُّهُ فَصِيحٌ قَالَ شِعْرًا
مُتَدَيِّمٌ) .

المرتبة الثانية أن يكون المصراع الأول مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الذي يليه فإذا جاء
الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس .

(قِفَانْدَبُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ... بِسُقْطِ اللَّوَى بَيْتِ
الدَّخُولِ فَحَوْ مَلٍ) .

فالمصراع الأول غير محتاج إلى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به .
وكذلك ورد قول أبي تمام .

(أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوِّى الظِّلْمَاءُ الدَّحَوَائِمُ ... وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّامِلُ
الْمُبِيدَ دَنَاظِمٌ) .

وعليه ورد قول المتنبي .

(الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... هُوَ أَوْ لَوْ هَيَّ الْمَحَلُّ)

الثَّانِي) .

المرتبة الثالثة أن يكون الشاعر مخيراً في وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريح الموجه وذلك كقول ابن الحجاج البغدادي .

(مِنْ شُرُوطِ الْمَصَّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ ... خَفَّةُ الشُّرْبِ مَعَ خُلُوصِ الْمَكَانِ) .

فإن هذا البيت يجعل مصراعه الأول ثانياً ومصراعه الثاني أولاً وهذه المرتبة كالثانية في الجودة .

المرتبة الرابعة أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه إلا بالثاني ويسمى التصريح الناقص وليس بمرضي ولا حسن